٣ـ البر

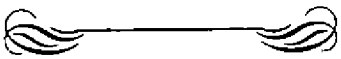

اعلم يا بني ويا بنيتي أنَّ البر"اسم جامع لأعمال الخير، ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما، ومنه عمل مبرور أي قد رضيه الله تعالى. وقد يكون بمعنى الصدق كما يقال: بَرّ في يمينه أي صدق ولم يحنث، ويقال: صدقت وبررت، وقال تعالى:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [البقرة : ١٨٩] ، فأخبر أن البر جامع للتقوى .

واعلم أنه سبحانه وتعالى لما أمر بالإيمان والشرائع بناء على ما خصهم به من النعم، ورغبهم في ذلك بناه على مأخذ آخر، وهو أن التغافل عن أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول، إذ المقصود من أمر الناس بذلك إما النصيحة أو الشفقة، وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره، أو ينصح غيره ويهمل نفسه". (١)

وقد استقبح الله تعالى هذا الفعل من بعض الناس فقال:﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤٤] .

وتلك إحدى آفات بعض" رجال الدين ـ حين يصبح الدين حرفة وصناعة لا عقيدة حرة دافعة ـ أنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، يأمرون بالخير ولا يفعلونه، ويدعون إلى البر ويهملونه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويؤولون النصوص القاطعة خدمة للغرض والهوى، ويجدون

---

(١) الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الرازي/ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير/ القاهرة دار الغد العربيط الأولى١٩٩١م ٢/ ٦٦ .

فتاوى وتأويلات قد تتفق في ظاهرها مع ظاهر النصوص، ولكنها تختلف في حقيقتها عن حقيقة الدين، لتبرير أغراض وأهواء لمن يملكون المال أو السلطان! كما كان يفعل أحبار يهود! .

والدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه، هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك، لا في الدعاة وحدهم، ولكن في الدعوات ذاتها. وهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم، لأنهم يسمعون قولًا جميلًا، ويشهدون فعلًا قبيحًا فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل، وتخبوا في أرواحهم الشعلة التي توقدها العقيدة، وينطفئ في قلوبهم النور الذي يشعه الإيمان، ولا يعودون يثقون في الدين بعد ما فقدوا ثقتهم برجال الدين". (١)

ولهذا يا بني لا أريدك أن تكون سببًا في فتنة أحد، أو في زهده عن الطريق القويم، بمخالفة أفعالك لأقوالك، فإنك لن تأمر بأمر، ولن تنهى عن منكر إلا ونظر الناس إلى فعالك.

بل لا أريد لك أن تكون سببًا لهداية لم تدركها ، ولخير لم تنتفع منه، فتكون على ضلالة وغيرك على هدى، فَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : " يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْزَلِقُ أَقْتَابُهُ ، فَيَدُورُ بِهَا فِي النَّارِ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ ، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَيَقُولُونَ : يَا فُلانُ مَا لَكَ ؟ مَا أَصَابَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ قَالَ : كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ " . (٢)

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٦٨ .

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم .

وعن الشعبي أنه قال: يشرف قوم في الجنة على قوم في النار فيقولون: ما لكم في النار، وإنما كنا نعمل بما تعلمون؟ قالوا: كنا نعلمكم ولا نعمل به.

وعن جندب البجلي أنه قال: إن مثل الذي يعظ الناس وينسى نفسه كمثل المصباح يضيئ لغيره ويحرق نفسه.

واعلم يا بني أن على رأس أعمال البر، وفي مقدمتها، الإيمان بالله تعالى، وبجميع كتبه المنزلة، وأنبيائه المرسلة.

وإنفاق المال على ذوي القربى، المقدمين على كل محتاج وفقير، وذلك لأن الإنفاق عليهم، إنفاق ووصل، وما فاض فلغيرهم من اليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين، وعتق الرقاب.

وتأتي الصلاة على رأس هذه الأعمال، وكذلك الوفاء بالعهد. ثم يأتي الصبر في البأساء والضراء قوام كل هذا وذاك. قال الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة:١٧٧].

ولن ينال عبد البر إلا بتحقيق هذه الأعمال جميعًا، واختصاص الإنفاق بالذكر في شرط البر دون الأعمال الأخرى كما في قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آل عمران : ٩٢]، ليس معناه تحققه بالإنفاق دون سواه من الأعمال، لأن الإنفاق بدونها لا معنى له ولا قيمة.

من فوائد البر:

١ـ طريق موصل للجنة.

٢ـ زيادة في العمر وبركة في المال والنسل.

٣ـ من أسباب سعادة المرء في الدارين.

٤ـ دليل على حسن الخاتمة.

٥ـ نيل محبة الناس ومحبة الله عز وجل.

٦ـ البر يُؤدي إلى الألفة وشيوع روح المحبة في المجتمع.

٧ـ التاجر البار يخرج من زمرة الفجار يوم القيامة.

٨ـ الأبرار تعمر بهم الأرض، وذلك بخلاف الفجار الذين يخربونها وهي عامرة.

٩ـ البر يُنجي من العذاب يوم القيامة.

١٠ـ البر إحدى الصفات التي لا تكتمل مكارم الأخلاق إلا بها، وهو أعلى درجات الصدق.

١١ـ بالبر تطمئن النفوس الحائرة، وتهدأ القلوب الفزعة، وتستقر الجماعات". [١]

(١) نضرة النعيم ٣/ ٧٦٦.